الأزهر والإصلاح

هل للأزهر فكرة إصلاحية ... ؟

للأستاذ محمود الشرقاوى

فى سنة ١٩٢٨ ونحن نطلب « العلم » فى الدراسات الأخيرة للأزهر انتبهت نفوسنا وأذهاننا لأمر جديد إسمه الإصلاح ، أقصد إصلاح الأزهر . وكان مثار هذا التنبه المفاجئ أن شيخاً مصلحاً عظيماً ولى مشيخة الأزهر عرفناه باسم الشيخ المراغى ويوصف الإمام المصلح خليفة الشيخ محمد عبده .

ثم انتهينا من طلب « العلم » ولم تنته نفوسنا ولا أذهاننا من الانتباه بل الاندفاع مع ما فاضت به قلوبنا من الرغبة ومن الاقتناع بضرورة الإصلاح للأزهر . ومن الرغبة والاقتناع بضرورة « تجديد الحياة الدينية » فى مصر والشرق .

وبقى الشيخ المراغى فى الأزهر فترة ثم تركه ، ولكن الحديث عن الإصلاح والتجديد ظل مقروناً باسم الشيخ المراغى ، وظل وصفه بالإمامة والإصلاح والخلافة للشيخ محمد عبده قائماً .

وسارت بنا الحياة هذه السنين الكثيرة العدد ما ننفك نكتب ونتحدث ونفكر فى الإصلاح والتجديد . وسارت الحياة بالأزهر هذه السنين الكثيرة العدد فتقدم فيها نحو الإصلاح والتجديد خطوات ليس من حقى الآن وليس مقصودا إلىّ أن أبين عنها ولا أن أبدى رأياً فيها . بل من حقى ومن واجبى أن أعدل بما كتبت فلا أقول إن الأزهر فى هذه السنين الكثيرة العدد قد « تقدم » نحو الإصلاح والتجديد ، بل أقول إنه قد « تغير » عما كانت عليه حاله قبل هذه السنين ، ولك أنت — ولى أنا أيضاً — أن أفهم وأن أحكم وأن أصف هذا التغيير هل كان إلى حسن أو إلى غير حسن . وهل كان تقدما نحو الإصلاح والتجديد أم لم يكن . وهل كان الأزهر بهذا « التغيير » كاسباً أم خاسراً ، وإلى أى مدى كان ربحه وكانت خسارته فى الثانية أو فى الأولى . أم أن هذا التغيير الذى صار إليه الأزهر فى هذه السنين الكثيرة لم يكن تجديداً ولا رجعة ولا تقدماً ولا تخلفاً ، وإنما هو تخبّط وتخليط ، وأن الأزهر صار به ومنه كالنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

من حقك ومن حقى أن نفكر وأن نحكم وأن نصف ما فعل الأزهر أو فُعل به فى هذه السنين . ففكر — إن لم تكن — واحكم وصف . أما أنا فقد فكرت وحكمت وليس من شأنى اليوم ولا مقصوداً لى أن أصف ، أما الذى هو من شأنى اليوم ومقصود لى فهو أن أكتب هذا الفصل « للرسالة » عن : (فكرة الإصلاح) فى الأزهر . ما هى ... ؟

* * *

فلنسلم جدلاً أو اقتناعاً بأن الأزهر له فكرة إصلاحية . وبأن الكلام عن الإصلاح التعليمى فى الأزهر وعن الإصلاح الخلقى فيه . والكلام عن إصلاح الحياة الدينية فى مصر ليس مقصوداً بهما الدعاية ولا التظاهر ولا عرض من متاع الحياة أو جاهها ، وليس لصوقاً بوصف معيّن فيه ربح أو فيه متاع لنفس أو إرضاء لشهوة

فلنسلم جدلاً أو اقتناعاً بأن للأزهر فكرة إصلاحية لتجديد الحياة العقلية والحياة التعليمية والحياة الخلقية بين أهله ، وأن للأزهر فكرة إصلاحية لتجديد الحياة الدينية فى مصر أو فى الشرق ... فما هى هذه الفكرة الإصلاحية التى وضع الأزهر أو وضع رجاله حدودها ورسموا معالمها وخطوطها وحدّدوا أهدافها القريبة أو البعيدة ... ؟

وهل استبان الأزهر واتضحت له الطريق التى يسلكها إلى أهدافه القريبة أو البعيدة ، حتى يأخذ بأسبابها ويتلمّس نهجها ويعرف أين هو مما كان وأين هو مما يريد أن يكون ؟

نحن نعرف أن الأزهر — فى هذه السنين الكثيرة العدد — قد وسع على طلبته فى منهج الدراسة للعلوم الحديثة ، وأنشأ لهم المعامل للكيمياء ، ورحلهم الرحلات ، وأنه أنشأ لهم الكليات خمساً أو ثلاثاً ولوى ألسنتهم أو ألسنة بعضهم بلغات الإنجليز

والفرنسيين والألمان . بل — والله قادر عليهم أو مكّن لهم أن يتعلموا لغات أهل الصين واليابانيين والفرس والترك إلى ما لست أدرى من لغات أهل الأرض ، وأنه أخرج طلبة العلم فيه من قبلتهم القديمة والجديدة ، ومن صحن أزهرهم وأروقتهم إلى حيث يجلسون على الكراسى فى عمائر جديدة في سفح الجبل بين مقابر الموتى ، وفى أحياء متباينة متباعدة فى القاهرة بين مقابر الأحياء

ونحن نعرف أن الأزهر — فى هذه السنين الكثيرة العدد — قد قدم إلى طلبته المذكرات والملخصات والمختصرات ، واستعان عليهم بطائفة من الأساتذة فى دار العلوم ومن المطربشين فى مدارس الحكومة ، وأنه حفظ لأهله كرامة المال أو بعض كرامته فزاد لهم فى الأموال وضخم لهم الميزانية عاماً بعد عام

ونحن نعرف أن الأزهر فى هذه السنين قد جمع بين أهله عقولاً تفكر فى الإصلاح وقلوباً تشتغل به وجهوداً تسعى إليه . وأن فى الأزهر الحديث الشيخ المراغى والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ شلتوت ومن ورائهم جمع أو جموع من الشباب والطلبة يهتدون بهديهم ويستجيبون لما يريدونهم عليه للاصلاح والخير والتجديد

فهل الإصلاح للأزهر هو العلوم الحديثة ولو لم يكن لها أثر فى الإفراج عن عقول أهل الأزهر وإخراجها من عبودية التقليد إلى حرية النقد والموازنة والرأى ؟ أم هو معامل الكيمياء والرحلات والتواء ألسنتهم أو ألسنة بعضهم بكلمات قليلة ، أو كثيرة من لغات أهل الأرض ولو لم يكن لها أثر فى الإفراج عن عقول أهل الأزهر وإخراجها من ظلماتها إلى نور هذه اللغات وكنوزها وحرية التفكير فيها وبراعة النظم ...؟ أم هو الفرار من القبلة القديمة والجديدة ومن الرواق العباسى إلى عمائر جديدة أو بالية بين مقابر الأحياء أو مقابر الموتى ...؟ أم هو الملخصات والمذكرات والمطربشون من المدرسين وأن تضخم الأموال فى العام بعد العام ...؟

نحن نعرف أن الأزهر قد تغير فى هذه السنين الكثيرة العدد ، وأن الكلام عن تجديده وإصلاحه لم ينقطع يوماً ، وأن فيه عقولاً تفكر وقلوباً تشتغل وألسنة تتكلم وأقلاماً تكتب وخطباً تحرر وتحبر ، وجموعاً من الشباب والطلبة ومن الغيورين المملوءة قلوبهم حماسة وإخلاصاً وصادق رغبة . ولكن الذى نريد أن نعرفه : هل فكرة الإصلاح للأزهر وللحياة الدينية فى مصر والشرق واضحة الحدود عند الأزهريين مستبينة المعالم ؟ وهل تجمع بين أصحاب العقول التى تفكر والقلوب التى تشتغل والجهود التى تسعى والألسنة التى تتحدث ؟ هل بين هؤلاء جميعاً رباط من غرض أو غاية توحّد بينهم فى الفهم والسعى والكفاح فى سبيل ما يؤمنون به ...؟

* * *

من حقك ومن حق أن نفكر وأن نحكم وأن نجيب ، ففكر واحكم وأجب ، أما أنا فقد فكرت وحكمت وليس من مقصودى اليوم أن أجيب ، بل أن أعرض ما بنفسى أو بعض ما بنفسى وأن أسأل من يجيب . فهل من يجيب ؟

محمود الشرقاوى

للشاعر على محمود طه

أرواح وأشباح

ملحمة رائعة من شعر الأساطير

حوار الجسد والروح ، حديث الفن والحب

بين المرأة والرجل

لون جديد فى الشعر العربى الحديث

أتقن ما أخرجه فن الطباعة

ورق برشمان النادر فى حجم كبير فاخر

صور ورمزية وغلاف مصور بالألوان

لم يطبع من هذا الديوان غير نسخ معدودة

يطلب من جميع المكتبات فى مصر والشرق العربى

ثمن النسخة ٢٥ قرشاً عدا مصاريف البريد